الصلات والبشر
في
الصلاة على خير البشر

تأليف

الإمام شيخ الإسلام مجد الدين محمد بن يعقوب
الفيروزابادي (صاحب القاموس) المتوفى سنة ٨١٧

اعتنى به

يوسف علي بديوي

سماح للنشر والتوزيع
دمشق

إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلعَلِيمُ

وَقْفٌ للهِ تعالَىٰ

طُبِعَ عَلَىٰ نَفَقَةِ فَاعِلِ خَيْرٍ

غَفَرَ ٱللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِأَوْلَادِهِ

وَلِلْمُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م

دار سماح للنشر والتوزيع

دمشق هاتف : ٢١١٠٩٥٥- موبايل : ٠٩٤٧٤٢١١٠٥

ص.ب : ١٣٢٧٧

بين يدي الكتاب

الحمد لله ربِّ العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا رسول الله محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فإن الصلاة على النبي محمّد ﷺ عبادة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1] .

ومعنى هذه الصلاة : أننا ـ كمؤمنين ـ نطلب مكافأة رسول الله ومجازاته من الله عز وجل عنّا بأفضل ما جازى نبياً عن أمته .

قال الإمام ابنُ العربي : « فائدةُ الصلاة عليه ﷺ ترجع إلى الذي يُصلّي عليه ، لدلالة ذلك على نُصُوع العقيدة ، وخلوص النية ، وإظهار المحبة ، والمداومة على الطاعة ، واحترام النبي ﷺ » .

وهذا الكتاب الذي بين أيدينا خلاصة وافية لموضوع الصلاة على النبي ﷺ ، مع الاعتماد على الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، وأقوال العلماء ، علاوةً على الأدب والشعر .

وصال المؤلف وجال في تفصيل جزئيات موضوعه ، فجمع بين التفسير اللغوي ، والمعنى الشرعي ، للصلاة على النبي ﷺ ، وبيَّن معاني الصلاة ، وذكر الأحاديث الدالة على فضل شأن الصلاة على رسول الله ﷺ ، كما أوضح معاني مصطلحات كثيرة تتعلق بالكتاب ، وتفيد القارئ ، وتجعله على بيِّنة من الأمر .

كما ذكر الآثار الواردة في فضائل الصلاة على النبي ﷺ ، والمناقب التي

---

(١) سورة الأحزاب : الآية : ٥٦ .

يجنيها المصلي على النبي ﷺ ، والمواضع التي تتأكد فيها تلك الصلاة ، مع تسجيل فوائد مهمة ، كالآداب الشرعية في زيارة قبر النبي ﷺ ، وكيفية الصلاة عليه .

هذا ، وقد اعتمدتُ في إخراج هذا الكتاب ، وإعادة تحقيقه ؛ على طبعة قديمة ، فقمتُ ـ بفضل الله تعالى ـ بضبط النص ، ووضع علامات الترقيم المناسبة ، مع تخريج الأحاديث النبوية من مظانها المعتمدة ، وشرح الكلمات الصعبة ، وعزوها إلى المعاجم المتخصصة ؛ ليكون الكتاب سهل التناول ، كثير الفوائد للقارئ العزيز .

اللهم علمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علمتنا ، وزِدْنا علماً يا أرحم الراحمين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

يوسف بديوي

* * *

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[مقدمة المؤلف]

الحمد لله الذي أعظم حَبَاه[١] وشكم[٢] ، وأنفذ قضاه وحَكم ، وأنقذ من المهالك من حباه[٣] (و) رعاه ودَكَم[٤] ، والحمد لله ﴿ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾[٥] .

ثم الشكرُ والثناء والتحية لله ، والعظمةُ والعزة والكبرياء والجلال والجبروت لله الملك الحق المبين ، حمداً كاملاً تاماً ، وشكراً شاملاً عاماً ، وثناءً حافلاً ضاماً لما نطق به جميع الأولين والآخرين ، كل ذلك عن دين صلب متين ، واعتقاد حق يقين ، وإيمان محض مكين .

ثم الحمد لله ﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾[٦] ويعلي على كل طَود[٧] رباه[٨] وأكمه[٩] .

---

(١) الحباء : حبا فلاناً : أعطاه بلا جزاء ولا مَنّ . القاموس المحيط (١٦٤٢) .

(٢) الشكم : الجزاء والعطاء . القاموس المحيط : (١٤٥٥) .

(٣) حباه : حاباه محاباة وحباءً : نصره واختصه ومال إليه . القاموس المحيط :(١٦٤٢) .

(٤) دكم : دفع عنه المهالك . القاموس المحيط (١٤٣١) .

(٥) سورة الجمعة ، الآية : ٢ .

(٦) سورة الفتح ، الآية : ٢٨ .

(٧) الطود : الجبل أو عظيمه . القاموس المحيط (٣٧٨) .

(٨) الربا : جمع ربوة ، وهي المرتفع من الأرض . المعجم المدرسي (٣٩٥) .

(٩) الأكم : جمع أكمة وهي التل . الأكمة : محركة : التل من القُفّ من حجارة واحدة أو هي دون الجبال أو الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله . وهو غليظ لا يبلغ أن يكون حجراً جمع : أكم . القاموس المحيط : (١٣٩١) .

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له جاعل الدنيا عطاء قليلاً ، وجاعل العقبى جزاء جزيلاً ، والجنة جزاء نبيلاً ، والجحيم عقاباً وبيلاً ، وباعث السيد القرشي الهاشمي المكي المدني الأبطحي الحجازي نبياً كريماً ، وصفياً عظيماً ، ورسولاً بجيلاً[١] .

ثم الحمد لله الذي أرسله شاهداً ومبشراً ونذيراً ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾[٢] لم ينج من حوالك[٣] المهالك إلا من جعل لثكمه ثُكمه[٤] فهو بشارة عيسى ، وإشارة موسى ، ودعوة إبراهيم الخليل ﴿ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ ﴾[٥] وخصه من الأولين والآخرين بالمضاعفة في كل تعظيم وتبجيل ، وأهداه رحمة إلى الخلق فهدى غُلفه[٦] ، وبصَّر عميه ، وأسمع صمّه ، وأنطق خرَسه وبكمه .

وأشهد أن سيدنا ونبينا وشفيعنا ومويلنا[٧] ومولانا أبا القاسم الداعي إلى الله محمد بن عبد الله سيد المرسلين ، وخاتم النبيين ، وإمام المتقين ، ومناص[٨] المذنبين ، وقائد الغرِّ المحجلين ، أحمد المقتفى ، المصطفى الأمين مدخر البشر ، وصاحب المعجزات الباهرات ومفخر المعشر ، وراكب الآيات الظاهرات وشفيع المحشر ، وناصب الرايات العاليات ، ومزيل الغمة عن الأمة عند اصطدام الصكمة[٩] .

خصّه الله بالطود السامي ، والشريعة الرفيعة ، والعَوْد النامس ، والملة

---

(١) بجيلا : أي مبجلاً . القاموس المحيط : (١٢٤٦) .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٦ .
(٣) الحوالك : الظلمات . والحلكة : شدة السواد . المعجم المدرسي (٢٦٩) .
(٤) الثكم : مصدر ثكم ، أي : بين وأوضح ، والثكمة : المحجة . لسان العرب (١٢/ ٧٨) .
(٥) سورة الأعراف ، الآية : ١٥٧ .
(٦) قلب أغلف : كأنما أغشي غلافاً فهو لا يعي . القاموس المحيط : (١٠٨٨) .
(٧) هكذا في الأصل ، ولعلها : ومولينا .
(٨) المناص : الملجأ . القاموس المحيط : (٨١٧) .
(٩) الصكمة : الصدمة الشديدة . والصواكم : النوائب . القاموس المحيط : (١٤٥٨) .

المنيعة ، والجود الهامي ، والأمة السميعة المطيعة .

وتوَّجه بختم الأنبياء والرسل ، ونسخ بطريقته المثلى التماثيل والمُثُل ، وجعل شريعته أقوم الشرائع والسبُل ، فكان مقصدَ الوجود ، ومسندَ السعود ، وأركانَ الجود ، ومكانَ السجود ، والشاهدَ والمشهود ، وصاحبَ المقام المحمود ، والحوضِ المورود المدفوع به عن الخلائق في جميع المضايق كل نكبة ونكمة[١] .

صلوات الله وسلامه ، وأزكى تحياته ، وبركاته عليه ، وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأحبابه من كل سَمَيْدع[٢] صنديد[٣] ، وألمعي فريد ، وعبقري[٤] وحيد ، إذا برز للأقران روَّع أبا حفص الهلقام[٥] بالوكمة[٦] . وبعد :

يقول الملتجئ إلى حرم الله تعالى محمد بن يعقوب الفيروزأبادي ، جعله الله الكريم من المقتدين برسوله النبي المقفى ، وسقاه من حب حبه السلسبيل المصفى ، بالصلصل[٧] الموفى :

إنه لما كان نهار الثني[٨] رابع شهر رجب من عام سبعين وسبعمئة حصل عزم إلى الغار الذي أوى رسول الله ﷺ إليه بجبل ثور ، وكان من هجِّير[٩] أصحابي طلبة الحديث والأثر رغبتهم في سماع شيء من مروياتي إذا وافينا مكاناً من الأماكن المتبركة الكائنة أحوال العذراء أم القرى ، فأنسب ما وجدت أن يُقرأ بهذا

---

(١) النكمة : النكبة والمصيبة الفادحة . القاموس المحيط (١٥٠٣) .
(٢) السميدع : السيد الكريم الشريف السخي ، والشجاع الموطأ الأكناف . المعجم المدرسي (٥١٨) .
(٣) الصنديد : السيد الشجاع . المعجم المدرسي (٦٠٧) .
(٤) العبقري : المبدع النابغة . المعجم المدرسي (٦٧٧) .
(٥) الهلقام : الأسد . الرائد لجبران مسعود (١٥٧١) .
(٦) الوكمة : الوكم : القمع . القاموس المحيط (١٥٠٧) .
(٧) الصلصل : كأس من الفخار . المعجم المدرسي (٦٠٣) .
(٨) الثني : يوم الإثنين .
(٩) هجير أصحابي : دأبهم وشأنهم . القاموس المحيط (٦٣٧) .

المكان المنيف شيء يتعلق بذكر رسول الله ﷺ ، وإكثار الصلاة والسلام عليه ، فشرعت في تعليق هذا الكتاب من جراء هذا الغرض المذكور ، مختصراً ملخصاً لكتب منها كتاب ابن بشكوال[1] الحافظ ، وكتاب الصلاة لأبي نعيم[2] الأصفهاني ، وكتاب القربة[3] لخلف ، وكتاب الصلاة للشيخ جمال الدين بن جملة ، وكتاب شيخنا تقي الدين أبي الحسن السبكي[4] ، وكتاب الشيخ شمس الدين ابن القيم[5] ، وكتاب الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن النميري[6] المسمى بالإعلام .

وأسأل الله الكريم المنَّ علي في هذا النهار ، بالإكمال والإتمام ليكون عدة مُعَدَّة لغد عند دخول الغار ، وذخراً لغد الأكبر أنجو به إن شاء الله تعالى من عظيم الأوغار ، وحميم الأوعار ، ويشتمل ما أردنا إيراده في هذا الكتاب على أربعة أبواب وخاتمة .

الباب الأول : في معنى قوله عز شأنه ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[7] على سبيل التلويح والإشارة ، وذكر أقوال المفسرين على أوجز ما يتفق لي من البيان والعبارة .

---

(١) ابن بشكوال : هو خلف بن عبد الملك الأندلسي محدّث حافظ مؤرخ ولد وتوفي بقرطبة سنة ٥٧٨هـ وكتابه هو « القربة إلى الله بالصلاة على النبي ﷺ » . شذرات الذهب .

(٢) أبو نعيم : هو أحمد بن عبد الله الأصبهاني . محدث مؤرخ صوفي صاحب كتاب حلية الأولياء توفي سنة ٤٣٠هـ . معجم المؤلفين .

(٣) كتاب القربة لخلف بن عبد الملك ، وهو ابن بشكوال السابق الذكر .

(٤) هو علي بن عبد الكافي : عالم مشارك في الفقه والتفسير وغيرهما ، توفي بظاهر القاهرة سنة ٧٥٦هـ .

(٥) ابن قيم الجوزية هو محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي . فقيه مفسر متكلم ، توفي بدمشق سنة ٧٥١ له كتاب « جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام » وهو مطبوع . معجم المؤلفين .

(٦) هو محمد بن عبد الرحمن النميري : محدث عارف بعلل الحديث من أهل غرناطة ، توفي سنة ٥٤٤هـ له كتاب « الإعلام بفضل الصلاة على خير الأنام » . معجم المؤلفين .

(٧) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦ .

الباب الثاني : في ذكر الأحاديث الدالة على فضل شأن الصلاة ، وعظيم قدرها ، وهي تنيف على مئة وعشرين حديثاً .

الباب الثالث : في بيان ما يشكل من جملتها على سبيل الإيجاز والاختصار ، وإيضاح ما يبهم من معانيها على طريق الاقتصاد والاقتصار .

الباب الرابع : في ذكر مسائل نفيسة مهمة تتعلق بالصلاة والتسليم ، وفوائد جليلة يحتاج إليها أهل التعلم والتعليم .

والخاتمة : فيما يتعلق بغار ثَور وقصته ، وذكر ما امتاز به من غيران الأطواد ، وكهوفها بتخصته .

* * *

الباب الأول

في تفسير قوله عز شأنه :

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1]

في الآية مسائل ، الأولى : اختلف العلماء في اشتقاق لفظة الصلاة ، فقيل : الصلاة : الدعاء ، قال الله تعالى ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ ﴾[2] أي : ادع لهم ، ومنه : الصلاة على الجنازة ، أي : الدعاء للميت ، وأنشدوا[3] :

وقابلها الريح في دنِّها وصلى على دنها وارتَسَمْ

صلى على دنها ، أي : دعا عليها ، وارتسم ، أي : دعا وكبّر . قال أبو عمر النمري : ومنه قول الأعشى :

لها حارس لا يبرح الدهر بيتَها وإن ذُبحت صلّى عليها وزمزما

أي : دعا عليها . وقيل : اشتقاقها من الصَّلا بالقصر ، وهي النّار من صَلَّيت العصا إذا قومتها بالنّار، فالمصلّي كأنه يسعى في تعديل باطنه وظاهره؛ كمن يحاول تقويم العود بالنار، وقيل: الصلاة الملازمة ، ومنه قوله ﴿ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴾[4]

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٥٦ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٤ .

(٣) البيت هو للأعشى ، والذي قبله :

وصهباء طاف يهوديها وأبرزها وعليها ختم

قال في لسان العرب (١٤/ ٤٦٤) صلّى على دنها ، أي : دعا لها ألا تمحض ولا تفسد .

(٤) سورة الغاشية ، الآية : ٤ .

﴿ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾[1] ومنه سمي ثاني أفراس الحلبة مُصَلِّياً ، وقال أبو القاسم الزمخشري : حقيقة صلى : حرك الصَّلَوَيْن ؛ لأن المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده وقيل للداعي : مصلٍّ تشبيهاً له في تخشعه بالراكع والساجد ، وقيل : أصل الصلاة الترحم وقيل : أصلها التعظيم ، قاله الحليمي . وقيل : اسم مشترك لمعان ، حكاه الماوردي .

هذه أقوال العلماء ـ رحمهم الله تعالى ، ورضي عنهم ـ ونحن بتأييد الله وتوفيقه لا نعرج على شيء مما ذكروه ، وعندنا فيها قول هو القول إن شاء الله ، وذلك أن مادة (ص ل و) و(ص ل ي) موضوعة لأصل واحد ، وملحوظة لمعنى مفرد ، وهو الضم والجمع ، وجميع تفاريعها راجعة إلى هذا المعنى ، وكذلك سائر تقاليبها كيفما تصرفت وتقلبت كان مرجعها إلى هذا المعنى ، وبيان ذلك أن (ص ل و) منها الصَّلا ، وهو وسط الظهر من الإنسان ، ومن كل ذي أربع ، وقيل : ما انحدر من الوَرِكَين ، كل ذلك لما فيه من الانضمام والاجتماع ، ومنه صلاه بالنّار ، أي : شواه ؛ لأنه ينضم وتجتمع أجزاؤه ، وصلا يده : سخنها وأدفأها لانضمام الحرارة إليها ، وصلاه : خاتله وخدعه ؛ لأنه ينضم ويجتمع لخدعه كانضمام الصياد ، ومنه الصِّلاية لدق الطيب يجمع فيها الطيب . والمُصلي من أفراس الحلبة يجمع مع السابق ، والصلوات كنائس اليهود لاجتماعهم فيها .

ومنها (ص و ل) تقول منه : صال على قرنه صَوْلاً إذا سطا ووثب إليه ، والمِصْولة : المِكْنسَة ؛ لأنه يُجمع بها الكناسة ، والصِّيلة بالكسر : عقدة في العذبة ، والمِصْولُ : شيء يجمع فيه الحنظل وينقع لتذهب مرارته ، والتصويل : كنس نواحي البيدر ، أي : جمع ما تفرق منها .

ومنها (ل و ص) تقول : لاص لوْصاً : إذا لمح من خَلَل باب كالمختفي ،

---

(١) سورة المسد ، الآية : ٣ .

وكذلك لاوص مُلاوصة ، واللَّوص ، واللَّواص ، والمُلَّواص : الفالوذق[1] لانعقاده وانجماعه ، واللَّواص أيضاً : العسل لذلك ، أو لاجتماعه في الخلية ، ولاص : حاد عن الطريق كأنه طلب الاختفاء والانجماع ، وكذلك (ل ي ص) .

ومنها (ل ص و) و(ل ص ي) يقول : لصاه يلصوه ولصا إليه ؛ إذا انضم إليه ليريبه ، وكذلك لصى يلصي كرمىٰ يرمي ، ولصي يلصى كرضي يرضى .

ومنها (و ص ل) وصله وصلاً وصِلة وصُلة : لأمه ، ووصل الشيء ووصل إلى الشيء وصولاً ووصلاً وصلة : بلغه ، واجتمع به ، وانتهى إليه ، ومنه الوصيلة للناقة التي وصلت بين عشرة أبطن ، ومن الشاة التي ولدت سبعة أبطن عَنَاقين عَنَاقين[2] ، فظهر بذلك معنى الضم : الجمع في جميع مواد الكلمة .

ولو رُمت إيرادَ كلِّ فرد من تفاريع كل مادةٍ وإلحاقه بها وإيضاحَ معنى الجمعية فيها لكان ـ بحمد الله ، ومنّه ـ عليَّ أسهلَ من جل ذاك ، وأسرعَ من اليد إلى الفم ، وأعجلَ من تلمظ الوَرِك[3] لكن شرطي الاختصار ، وسلوك الإيجاز في هذا الكتاب كما أسلفناه .

وقد ظهر ـ والحمد لله ـ بما ذكرناه ما قصدناه ، فسميت الأفعال المشروعة المخصوصة صلاةً لما فيها من اجتماع الجوارح الظاهرة ، والخواطر الباطنة ، وإراحة المصلي إلى الله عن نفسه جميع المفرقات والمكدرات ، وجمعه جميعَ المهمات المجمعات للخاطر المسكنات ، أو لاشتمالها على جميع المقاصد والخيرات ، وكونها أصل العبادات وأم الطاعات .

وأما الدعاء فسمي صلاة أيضاً ؛ لأن قَصْدَ الداعي جمعُ المقاصد الحسنة

---

(١) الفالوذق : كلمة معربة ، ولا يقال الفالوذج . مختار الصحاح (٥١٧) .

(٢) العناق : بالفتح الأنثى من ولد المعز ، مختار الصحاح (٤٦٧) .

(٣) تلمظ الورك : أي تحريك الورك . ومنه : لَمَظ فلان : تتبَّع بلسانه بقية الطعام في الفم بعد الأكل ، أو أخرج لسانه بعد الأكل والشرب فمسح به شفتيه . المعجم المدرسي (٩٥٧) .

الجميلة والمواهب السنية الرفيعة أولاً وآخراً ، باطناً وظاهراً ، ديناً ودنيا ؛ بحسب اختلاف أحوال السائلين ، ففيها معنى الجمعية أبين من فرق الصبح ، ولله الحمد .

فإن قلت : قد اعترض الإمام فخر الدين على الزمخشري لما زعم أن الصلاة مشتقة من الصَّلَوَيْن ، وقال : هذا الاشتقاق الذي ذكره يفضي إلى طعن عظيم في كون القرآن حجة ، وذلك لأن لفظ الصلاة من أشد الألفاظ شهرة ، وأكثرها دوراً على ألسنة المسلمين ، واشتقاقه من تحريك الصَّلَوين من أبعد الأشياء اشتهاراً فيما بين أهل اللغة .

ولو جوزنا أن يقال مسمى الصلاة في الأصل ما ذكره ثم خفي واندرس حتى صار بحيث لا يعرفه إلا الآحاد ؛ لكان مثلهُ في سائر الألفاظ جائزاً .

ولو جوزنا ذلك لما قطعنا بأن مراد الله تعالى من هذه الألفاظ ما تتبادر أفهامنا إليه من المعاني في زماننا هذا ؛ لاحتمال أنها كانت في زمن الرسول ﷺ موضوعة لمعان أخر ، وكان مراد اللهِ تلك المعاني ، إلا أن تلك المعاني خفيت في زماننا واندرست كما وقع مثله في هذه اللفظة .

ولما كان ذلك باطلاً بإجماع المسلمين علمنا أن الاشتقاق الذي ذكره باطل ، وهذا الذي أورده الإمام على الزمخشري قد يورد عليك ، ويعترض به على ما زعمته من الاشتقاق ، وأنه من معنى الجمعية لبعده أيضاً عن الأفهام ، إلا أنه لم يذكره أحد من أئمة اللغة غيره .

قلت : وضوح معنى الجمعية في جميع تقاليبه يأبى بُعْدَهُ ، ثم الفرق بين ما ذكرته وما ذكره الزمخشري واضح لظهور ما قلته وخفاء ما قاله ، على أنه لا يرد على الزمخشري أيضاً ، وكلام الإمام فخر الدين في هذا المحل منحطّ عن درجته ، غير لائق بمرتبته ، وذلك لا يجوز أن يكون مأخوذاً مما ذكره الزمخشري ، لكن لا يتوقف فَهْمُ المقصود عليه ؛ لأن المقصود فهم المعنى المشتق ، وهو غير متوقف على شهرة المشتق منه ، وقد وقع هذا المعنى في كثير

من الألفاظ ، يفهم معناها ولا يطلع على أصل اشتقاقها إلا الخواصُّ من أهل اللغة ، بل وقد وقع في أشهر الأشياء ، وهو لفظ الجلالة ، عند من ذهب إلى أنه مشتق ، فإنهم ذكروا في اشتقاقه أشياء لا تخطر ببال أحد إلا بعد الفكرة التامة والمراجعة ، ولم يلزم من ذلك محذور ، والله أعلم .

ومن الصلاة بمعنى الدعاء قوله تعالى : ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ﴾[1] يعني : عند أخذ الصدقة ادعُ لهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ﴾[2] أي : دعواته ، ومنه قوله ﷺ : « إذا دعي أحدكم فلْيُجب فإن كان صائماً فَلْيُصَلِّ ، وإن كان مفطراً فَلْيَطْعَمْ » . أي فليدعُ لهم بالبركة ، وفي رواية أبي داود : فليدع[3] .

وتستعمل الصلاة بمعنى الاستغفار قال أبو حاتم : ومنه الحديث على كل منسَم[4] من الإنسان صلاة ، فقال رجل : ما أشد ما أتينا به يا رسول الله ، فقال : « إن أمرك بالمعروف صلاة ، ونهيك عن المنكر صلاة ، وكل خطوة إلى الصلاة صلاة »[5] . وفي حديث آخر : « كل عمل المؤمن صلاة ، حتى إماطته الأذى عن الطريق صلاة » . ومنه قوله ﷺ : « إني بعثت إلى أهل البقيع لأصلي عليهم »[6] أي : أستغفر . ويؤيده الرواية الأخرى : « يا أبا مويهبة إني قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع ، فانطلق معي » فخرج فخرجت معه حتى جاء البقيع ، فاستغفر لأهله طويلاً[7] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ١٠٣ .

(٢) سورة التوبة ، الآية : ١٠٠ .

(٣) الحديث : « إذا دعي أحدكم إلى طعام فليجب فإن كان مفطراً فليأكل وإن كان صائماً فليصل » . أخرجه مسلم (١٤٣١) وأبو داود (٢٤٦٠) والترمذي (٧٨٠) وأحمد (٢/ ٤٨٩) عن أبي هريرة ، ورواية (فليدع) في سنن أبي داود (٣٧٣٦) عن ابن عمر .

(٤) المنسم : الطرف . المعجم المدرسي (١٠٤٣) .

(٥) صحيح ابن حبان (٢٩٩) ، مسند أبي يعلى (٢٤٣٤) عن ابن عباس .

(٦) سنن النسائي (٢٠٣٨) عن عائشة رضي الله عنها .

(٧) مسند أحمد (٣/ ٤٨٩) ، المستدرك (٤٣٨٣) .

وتستعمل بمعنى البركة ، ومنه قوله ﷺ : « اللهم صلِّ على آل أبي أوفى »[1] أي : بارك عليهم .

وتستعمل بمعنى القراءة ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا ﴾[2] لمَّا كان مختفياً بمكة إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن ، فإذا سمعه الكفار سَبُّوه ومَنْ أنزل وأُنزل عليه ، فنزلت ، أي : لا تجهر بقراءتك فيسمعَ المشركون فيسبوا القرآن ، ولا تخافت بها عن أصحابك .

وتستعمل بمعنى الرحمة ، ومنه قول كُثيِّر[3] :

صلى على عزةَ الرحمنُ وابنتِها ليلى وصلى على جاراتها الأُخرِ

وأما قول الأعشى :

تــراوحْ مــن صلــواتِ المَليــكِ طــوراً سجــوداً وطــوراً حَــوارا

فالمراد به الصلاة الشرعية التي فيها الركوع والسجود ، والحَوار ـ هنا ـ : الرجوع إلى القيام والقعود .

المسألة الثانية : تختلف حال الصلاة بحسب حال المصلي ، والمصلى له ، والمصلى عليه ، فإذا كان المصلي : الإنسان ، وهو محل التغير ، فتختلف صلاته لاختلاف أحواله ، وأما اختلاف حال المصلي من أجله ، فمثل صلاة الكسوف والاستسقاء ، وأما اختلافها باختلاف المصلي عليه فمثل صلاة الحق على عباده ، كما في الآية : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾ فسألوا عن كيفية الصلاة التي أمرهم الله تعالى أن يصلوها عليه ، فقال ﷺ : « اللَّهم صلِّ

---

(١) حديث ابن أبي أوفى : أخرجه البخاري(١٤٢٧) ومسلم(١٠٧٨) وأبو داود(١٥٩٠) والنسائي (٢٤٥٩) وابن ماجه (١٧٩٦) ولفظ البخاري : كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم بصدقهم قال : اللَّهم صل على آل فلان ، فأتاه أبي بصدقته فقال : اللهم صل على آل أبي أوفى .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ١١٠ .

(٣) البيت في لسان العرب (١٤/ ٤٦٤) للشاعر الراعي .

على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم »[1] أي : مثل صلاتك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم .

قال أبو حاتم : وفي الصلاة معنى لطيف غير ما فسَّرها المفسرون من معنى البركة والرحمة والدعاء ؛ لأنه قد أُمِرْنا أن نقول في الدعاء : اللَّهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، وارحم محمداً وآل محمد ، فلو لم يكن فيها معنى غير الرحمة والبركة والدعاء لما ذكر معها الرحمة والبركة والدعاء ، وسنكشف القناعَ ـ إن شاء الله الكريم بتأييدِ توفيقه ـ عن تحقيق معنى الصلاة والمماثلةِ في ذلك ، لا بما قاله علماء الظاهرِ ، بل بما سُقِينا من مَشْرب التحقيق ؛ بحيث يثلج به القلب ، وينشرح له الصدر إن شاء الله تعالى .

قال المفسرون في معنى هذه الآية : يصلون ، أي : يُبَرِّكون ، حكاه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما[2] ، وحكى الواحدي عنه : يريد أن الله يرحم النبيَّ والملائكة يدعون له بالرحمة .

وعن أبي العالية : صلاة الله عليه ثناؤه ، وصلاة الملائكة الدعاء ، حكاه البخاري[3] .

وعن سعيد بن جبير : صلاة الله المغفرة وصلاة الملائكة الاستغفار ، حكاه الماوردي .

وقيل : الصلاة من الله تعالى : إشاعة الذكر الجميل له في عباده ، وقيل : صلاة الملائكة تبريكهم عليه ، حكاه الماوردي عن ابن عباس .

وقيل : الصلاة من الله الترحم ، ومنه قوله تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٩٠) ، ومسلم (٤٠٦) ، والترمذي (٤٨٣) ، وأبو داود (٩٧٦) ، والنسائي (١٢٨٧) ، وابن ماجه (٩٠٤) .

(٢) صحيح البخاري (٤/ ١٨٠١) . ومعنى « يبركون » : يدعون بالبركة .

(٣) صحيح البخاري (٤/ ١٨٠١) قال أبو العالية : صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة ، وصلاة الملائكة الدعاء .

وَرَحْمَةٌ﴾[1] أي : ترحم ، قال أبو عبيدة محتجاً بقول الأعشى :

تقول بنتي وقد قرَّبْتُ مرتحلاً ... يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا
عليكِ مثلَ الذي صَلَّيتِ فاغتَمضي ... نوماً فإن لجنبِ المرء مضطجعا

مثل بالنصب إغراء ، وبالرفع رد عليها ، أي : ينالك من الخير مثل ما أردت لي ، وقيل : الصلاة هنا : بمعنى الدعاء ، وأنشد الأزهري في التهذيب :

صلى على يحيى وأشياعهِ ... ربٌّ كريمٌ وشفيعٌ مطاعْ

أي : ترحمَ عليه على الدعاء لا على الخبر ، ومنه قول كعب بن مالك :

صلى الإله عليهم من فتيةٍ ... وسقى عظامَهم الغمامُ المُسْبَلُ

وقال ابن الأعرابي : الصلاة من الله الرحمة ومن الآدميين وغيرهم من الملائكة والجن الركوعُ والسجود والدعاء والتسبيح ، ومن الطير والهوام التسبيح ، قال تعالى : ﴿قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ﴾[2] .

وقال ابن عطية : صلوات الله على عباده عفوه ورحمته وبركته وتشريفه إياهم في الدنيا والآخرة ، وقال في قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[3] صلاة الله على العبد هي رحمته له ، وبركته لديه ، ونشره الثناء الجميل عليه ، وصلاة الملائكة دعاؤهم . وقال غيره : صلاة الملائكة رقة ودعاء ، وقيل : رقة واستدعاء للرحمة لهم من الله تعالى .

وقال الزمخشري[4] : فيها لما كان من شأن المصلي أن ينعطف في ركوعه وسجوده ، استعير لمن ينعطف على غير حُنُواً عليه وترؤفاً كعائد المريض في انعطافه عليه ، والمرأة في حنوها على ولدها ، ثم كثر حتى استعمل في الرحمة والترؤف ، ومنه قولهم : صلى الله عليك ، أي : ترحَّم وترأف ، فإن قلت :

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٧ .
(٢) سورة النور ، الآية : ٤١ .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٤٣ .
(٤) في الكشاف : (١٠٠١) .